

من أعلام المفسرين الإندونيسيين : الشيخ محمد حسي الصدّيقى

(دراسة وصفية نقدية)

Ali Fikri Noor¹

Abstract: *Min A'lam al-Mufasirîn al-Indûnîsîn al-Syaykh Muhammad Hasbî al-Shaddîqî (Dirasâh Washfiyyah Naqdiyyah).* This scientific article is definitively going to study and elaborate about one's of the Indonesian muslim and prominent scholar that called Tengku Muhammad Hasby As-Siddiqy, and his Tafser that named as "Tafser Al-Qur'an Al-Majid An-Nuur". This scientific article has also included about his a brief biography, and the method of his Tafser. In the same time this article is going to give some important and valuable things about his basic opinions within the case of Islamic aqedah during his effort in the qur'anic tafser, and how this article is going to examine and to criticize about his fault and disapprove opinions. Than how this article is going to give the correct and straight opinions on the basic of Al-Qur'an, As-Sunnah and the prominent of muslim scholars.

Keywords: *al-mufasirîn, al-indûnîsîn, Muhammad Hasbî al-Shaddîqî*

Abstrak: *Tokoh Ahli Tafsir Indonesia : Prof. Dr. Tengku Muhammad Hasby As-Shiddiqy (Studi Deskriptif Analisis).* Artikel ini menjabarkan tentang seorang sarjana muslim dan terkemuka Indonesia yang bernama Tengku Muhammad Hasby As-Siddiqy, dan tafsirnya "Tafsir Al-Qur'an Al-Majid An-Nuur". Artikel ilmiah ini juga membahas biografi singkat, dan metode tafsirnya. Artikel ini juga akan membahas tentang pendapat dasarnya dalam kasus aqidah Islam selama menafsirkan al-quran, dan mengkritik beberapa kesalahan pendapat. Artikel ini akan menjelaskan bagaimana pendapat yang benar menurut al-qur'an, as-sunnah dan ulama muslim.

Kata kunci: *al-mufasirîn, al-indûnîsîn, Muhammad Hasbî al-Shaddîqî*

¹ Dosen STIU Darul Hikmah Bekasi

المقدمة:

إن الحديث عن علم من أعلام المفسرين حديث متع وشيق، ذلك لأن الحديث عن هذا الموضوع يرتبط ارتباط قويا بالحديث عن القرآن الكريم في حد ذاته، وقد قال بعض العلماء "شرف العلم بشرف موضوعه، وشرف المطلوب بشرف نتائجه، وعظم حطه بكترة منافعه" ، وكيف لا يكون هذا الموضوع شريفا؟ وهو لا يبحث إلا عن موضوع قرآن شريف ، وكفى المرء المسلم شرفا أن يجعل القرآن الكريم شغلا لعمره وأوقاته ورغبة في طلبه وفكره .

كان الشيخ محمد حسبي الصديقي علما من أعلام المفسرين الإندونيسيين المتقدمين، ولكن المؤسف أن تفسيره هذا لم يكن معروفا في الأوساط العلمية بإندونيسيا وعند الكثير من المسلمين بل وطلاب العلم والعلماء والمتلقين. ومن ثم رأيت أنه يستحق أن تتناوله لمسات أو مكتشفات علمية يعرف من خلالها ما فيه من غث وسمين وما فيه من آراء سديدة نيرة أو أفكار غير مرضية ومقبولة وعلى الأخص منها ما يتعلق بتفسيره للآيات القرآنية المتعلقة بالأمور العقدية والكلامية والغبية ضمن جهوده لتفسير القرآن الكريم. كما قصدت من هذا البحث إخراج بعض الزبدة العلمية النفيسة يتفع بها طلاب العلم والعلماء خصوصا المسلمين عموما.

أولا : اسمه ونسبه ومولده.

هو الأستاذ الشيخ الدكتور تنجكوه¹ (Tengku) محمد حسبي الصديقي من أعلام العلماء الإندونيسيين البارزين بعد استقلال إندونيسيا. وكان الشيخ من المكثرين في الاتصال العلمي حيث بلغت تصانيفه ثلاثة وسبعين كتابا في الفقه وأصوله والتفسير والحديث وعلم الكلام ، وجميع تصانيفه باللغة الإندونيسية.

¹ بمعنى الشيخ أو الأستاذ أو مولانا ، فهو لقب ديني يستخدم في وسط مجتمع آتشيه وينسب إلى من له إلما أو معرفة في العلوم الشرعية أو من يمارس التدريس في المعاهد الدينية، وفي مجتمع جاوي يعرف هذا بلقب كياهي - Kyai -

وأبوه تنجكو القاضي جيك ماها راجا مانكوا بومي حسين بن محمد سعود، وكان والده عالما في عصره وصاحب معهد ديني في قريته، وأمه عمرة بنت تنجكو جيك ماها راجا مانكوا بومي عبد العزيز، وكانت بنت أحد القضاة في آتشيه.

انتسب الشيخ محمد حسي إلى أبي بكر الصديق Δ أول الخلفاء الراشدين المهددين ، وكان الشيخ من ذرياته السابعة والثلاثين ، ولأجله وضع الشيخ في آخر اسمه اسم آخر وهو "الصديق" نسبة إلى هذه السلسلة الطيبة العطرة.² وموالده في 10 من مارس عام 1904 في لوك سيماوي (Lhok Seumawe) آتشيه بإندونيسيا.

ثانياً : عصر الشيخ محمد حسي الصديقي من الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية والثقافية.

يعتبر الشيخ محمد حسي الصديقي من أبرز وأقدم العلماء والمفسرين الإندونيسيين في عصر النهضة والتقدير.

وإنني عندما أتحدث عن هذا المصطلح "عصر النهضة والتقدير" ، إنما أقصد به عين ما يقصده المؤرخون ، حيث قالوا : "كانت أوضاع إندونيسيا السياسية والاجتماعية والدينية في مستهل القرن العشرين عصر النهضة والتقدير".³

فبناء على ذلك إننا نستطيع أن نقول وأن نحدد أن مستهل القرن العشرين يعتبر بداية لعصر النهضة والتقدير في إندونيسيا ، كما نستطيع أن نقول وأن نحدد أيضاً أن العصر قبل مستهل القرن العشرين لم يكن هناك أي عصر للنهضة والتقدير والازدهار.

ثم لنتنظر كيف وصف هؤلاء المؤرخون صوراً حقيقة لهذه الأوضاع السياسية والعلمية والاجتماعية والثقافية في إندونيسيا ، حيث يقولون : "شهد القرن العشرون حركات صاحبة مدوية ضد الاستعمار وقد تعددت هذه الحركات بسبب ما قدمه هذا القرن من

² انظر مقدمة تفسير النور، ص XV

³ Lothrop Stoddard, Dunia Baru Islam (The New World Of Islam), tanpa Tahun, hal. 295, Deliar Noer, and: The Modernist Muslim Movement In Indonesia, 1900-1945, Oxford Universitu Press Kuala Lumpur, 1978, h. 86.

تطور في الفكر للمجتمع الإنساني ، فلم تعد هذا الحركات ثورات فقط بل أصبحت أكثر شمولًا وبالتالي أكثر نجاحا ، فقد شملت الحركات الإندونيسية جوانب السياسية والجانب الاجتماعي والثقافي".⁴

أما الأسباب التي أدت بطريق مباشر إلى حدوث أو قيام هذه النهضة في إندونيسيا بين شعب إندونيسيا بشكل جماهري وعام ، فقد وجدنا بيانها الشافي والكافي من قول أحد المستشرقين ، لوتراف سطودراد (Lothrop Stoddard) حيث يقول : "فالحقيقة الأصلية لمقاومة شعب إندونيسيا في حد ذاتها حقيقة مقاومة الأمة الإسلامية التي تنيرها حركة السلف ومن ثم تأثرت بها الحركة المعاصرة والحركة الوطنية بشكل عام".⁵

هذا ... لقد قامت فعلا النهضة السياسية الوطنية والاجتماعية الدينية والعلمية الثقافية المباركة في أرض إندونيسيا بشكل عام بحيث تملؤها الصحوة والتجدد شرقا وغربا تأثرا بحدوث النهضة التي قام بها الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ السيد محمد رشيد رضا في مصر.

وهكذا فإن من أبرز التأثير لهذه الحركة المباركة أن قام أيضا عدد من الأفراد والعلماء الإندونيسيين بالتأليف في علم معين ومنه تفسير القرآن الكريم أو نشاط سياسي وحركي أو تأسيس جمعية دينية إجتماعية أو ما إلى ذلك من أمور.

ثالثا : رحلاته العلمية.

لقد تعود محمد حسي من طفولته على الرحلة العلمية ، حيث قضى جل عمره في الدراسة والتحصيل العلمي، ورحل من معهد إلى معهد آخر، وكان حينئذ ابن ثمانين سنين من عمره. وفي عام 1332 هـ / 1912 م تلقى دراسته النحوية والصرفية من معهد تنجيوكو تنجيك⁶ دي فيانج⁷ (Tengku Chi Di Piyeung) ملدة سنة ثم رحل إلى معهد تنجيوكو تنجيك

⁴ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، للدكتور أحمد الشليبي، ج 522/8 نقلًا من البروفسور رومين : آسيا المعاصرة ص : 118 من الترجمة العربية.

⁵ Lothrop Stoddard, Op.cit, h. 328.

⁶ يعني به السيد

دي بلوك بايو (Tengku Chik Di Bluk Bayu) لمدة سنة كذلك، ثم رحل إلى معهد تنجكو تجيك دي بلانج دي كابو جدونج (Tengku Chik Blang Di Kabu Geudong) ومن ثم رحل إلى معهد تنجكو تجيك دي بلانج منجاك سماكوراك (Tengku Chik Di Blang Manyak Samakurok) ، حيث مكث في كل من تلك المعاهد لمدة سنة ، وكانت موقع تلك المعاهد كلها في وسط ولاية مملكة فاسي⁸ المندرة . وفي عام 1335 هـ / 1920 م أرسله أبوه إلى معهد تنجكو تجيك إدريس ، أحد المعاهد الدينية المشهورة في آتشيه والذي يتخصص بدراسة الفقة ، وقضى فيه سنتين كاملتين .

ومن ثم رحل إلى معهد تنجكو تجيك حسن كرونج كلي (Tengku Chik Hasan Krueng Kale) ودرس فيه علم الحديث والفقه لمدة سنتين أيضاً. وفي عام 1339 هـ / 1920 م حصل محمد حسي على شهادة الدراسة إيزانا بأنه قد حصل على المستوى العلمي المعين كما أنه قد امتلك كفاءة ذاتية لإنشاء معهد تعليمي ، ومن ثم رجع محمد حسي إلى قريته غاما ظافرا¹⁰.

وبعد رجوعه تعرف محمد حسي بالشيخ محمد ابن سالم الكلالي ، أحد علماء العرب ومؤسس منظمة الوحدة الإسلامية (Organisasi Persatuan Islam) ، وكان الشيخ مستوطناً في لوك شيماوي إلى آخر حياته ، فتتلمذ محمد حسي على يده المباركة ، ومنه تعرف على الكتب المعاصرة مثل مجموع فتاوى لابن تيمية ، وزاد المعاد، وأعلام الموقعين، وبدائع الفوائد وشفاء العليل وغير ذلك.

⁷ يعني بهذه العبارة "تنجكو تجيك دي فيانج" : الأستاذ السيد المستقر في حي فيانج وهكذا يجري هذا المعنى في بقية العبارات.

⁸ اندرثت مملكة فاسي .-Kerajaan Pasai . في عام 1524 هـ / 1526 م بقدوم مملكة آتشيه دار السلام والتي في مستقبلها التاريخي أصبحت جزء من ولاياتها ، انظر : Sejarah Daerah Propinsi Daerah Istimewa Aceh, h. 43.

⁹ مقدمة تفسير النور ، ص : xv

¹⁰ مقدمة تفسير النور ، ص : xv

ولما رأى الشيخ في نفس محمد حسبي حبه المتدفق للعلم وتشوّقه العميق للتعرّف على الحركات الإسلامية المعاصرة أشار إليه ليذهب إلى سوريا ليا لپرسع علمه ونشاطه ، ففي عام 1345 هـ / 1926 م سافر محمد حسبي إليها وتحقّق بـ "جمعية الإسلام والإرشاد العربية" التي أسسها الشيخ أحمد السرقاني السوداني.

من ثم درس محمد حسبي عند الشيخ أحمد السرقاني مدة سنة ونصف ، فكان النصيب الأوفر الذي تلقاه منه التخصص في دراسة اللغة العربية وقد كان محمد حسبي من قبل ملماً بها واطلع من قرب على نشاطات الحركة التجديدية ومسيراتها التنظيمية.¹¹

رابعاً : شيوخه وتلامذته.

قد تتلمذ الشيخ محمد حسبي على يدي كثير من العلماء والمشايخ منهم :

1. تنجوكو القاضي جيك ماها راجا مانكوا بومي حسين بن محمد سعود ، والد الشيخ محمد حسبي.
2. الشيخ محمد بن سالم الكلالي.
3. الشيخ أحمد السرقاني السوداني.
4. الشيخ حسن بن أحمد المعروف بـ أحمد حسن.

وأما الأشخاص الذين تتلمذوا على يدي الشيخ محمد حسبي فمنهم :

1. الشيخ الدكتور عبد الحفيظ عبد الفتاح.¹²
2. الشيخ أشعري مزروقي وقد كان مديرًا لمعهد نور أمة يوكياكرتا، جاوي الوسطى.
3. الشيخ حسب الله وهو صهر الشيخ علي معصوم ، أحد المؤسسين لمعهد " المنور" ، من كبرى المعاهد بـ كرافياك ، يوكياكرتا، جاوي الوسطى.¹³

¹¹ مقدمة تفسير النور ، ج 1 / XVI-XVII

¹² تخرج الشيخ الدكتور عبد الحفيظ عبد الفتاح في جامعة أم القرى الإسلامية بمكة المكرمة، وقد تتلمذت على يديه في بداية التسعينيات قبيل سفره إلى باكستان وقد وجدته رجلاً عابداً وعلمياً زاهداً وورعاً ودرست منه الفقه واللغة العربية والنحو والصرف، اللهم بارك في عمره وأهله.

خامساً : أخلاقه وصفاته.

أما الحصول المحمودة التي تميز بها الشيخ محمد حسبي فمنها :

الأولى : الموهبة الإلهية التي منحها الله إياه ، ذلك لأن الشيخ لم يكن لديه رحلات علمية واسعة تجاوزت إلى أية جامعة خارج البلاد وإنما اكتفي الشيخ في تحصيله العلمي بالرحلة من معهد إلى معهد آخر لا يتجاوز ذلك عن حدود ولاية مملكة فاسى المندثرة.

الثانية : التحصيل الذاتي أو ما يسمونه بالإنجليزية بمصطلح *A Talented Autodidact* والذي ما برح الشيخ يتصرف به من حين شبابه إلى أن اشتعل رأسه شيئاً، فقد كان الشيخ من المحبين للعلوم والمعارف ومن المتشوقين للازدياد من الآداب والثقافات.

الثالثة : موقفه الحاسم في التمسك بما يعتقد صواباً ، فقد كان الشيخ لا يخاف لومة لائم وهو في هذا بمثابة الحجر الصامد في وسط البحر المتراكم الأمواج.¹⁴

سادساً : مكانته العلمية.

أتناول هذا جانبيين يبرزان مكانته العلمية :

الجانب الأول : الخدمة العلمية.

احتل الشيخ محمد حسبي مكانة علمية مرموقة، ومن ثم لم يعهد عبر تاريخ ثقافة إندونيسيا منذ أمدها العصري الطويل شخصية تضاهي الصورة العلمية للشيخ محمد حسبي، إضافة إلى أن الشيخ كان واحداً من هؤلاء المشهورين بإنتاجهم العلمي الكبير المفيد ، وله حوالي ثلاثة وسبعين مؤلفاً باللغة الإندونيسية في الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والباحث العامة.

¹³ من حوار أجراه الباحث مع الشيخ الدكتور عبد الحفيظ عبد الفتاح بجاكرتا في 28 من يونيو عام 2004 / 10 من جمادي الأولى عام 1425 ، وقد تخرج الشيخ في معهد المنور.

¹⁴ أقول هذا حقاً لا مجاملة لأن الشيخ كان محبوساً لمدة ستين ونيف وذلك منذ شهر مارس عام 1947 م / 1366 هـ إلى أن أطلق سراحه في 28 من فبراير عام 1948 وفي نفس الوقت كان الشيخ زعيماً لجمعية "حمدية" بالملكت الفرعى في منطقة كوتا راجا، وهذا مما اتصف به العلماء والمجاهدون المخلصون كما هو مكتوب في التاريخ ، انظر : تفسير النور ، ص : XVII-XVIII

كما أن الشيخ محمد حسي قد قضى جل حياته في الكفاح العلمي تعليماً وتدريساً وتحطيطاً حتى أصبح عميداً لكلية الشريعة بجامعة "سونان كالي جاغا الإسلامية الحكومية" (IAIN Sunan Kalijaga) بيوكياكرتا، جاوي الوسطي ، إلى أن تقاعد عام

¹⁵ 1392 هـ / 1972 م.

الجانب الثاني :

خلال حياته العلمية حصل الشيخ محمد حسي على عدة إنجازات علمية ، منها :

1. درجة الأستاذية في علوم الحديث من جامعة سونان كالي جاغا الإسلامية الحكومية ، بيوكياكرتا جاوي الوسطي ، عام 1960 م.
 2. الدكتوراة الفخرية من الجامعة نفسها في 29 من أكتوبر عام 1975 م.
 3. الدكتوراة الفخرية من جامعة باندونج الإسلامية في 22 من مارس عام 1975 م.
- سابعاً : مؤلفاته ووفاته.

من الكتب التي ألفها الشيخ والتي انتفع بها كثير من الناس ما يلي :

أولاً : في الفقه وعلومه.

1. Pengantar Ilmu Fiqh.
2. Sejarah Peradilan Islam.
3. Hukum Antar golongan dalam fiqh Islam.
4. Hukum-hukum Fiqh Islam.
5. Ilmu Kenegaraan dalam fiqh Islam.
6. Ilmu Pertahanan negara dan kemiliteran dalam Islam.
7. Pengantar Hukum Islam.
8. Fiqh Mawarits.
9. Pokok-pokok pegangan Imam-Imam Madzhab dalam membina hukum Islam (2 jilid).
10. Syari'at Islam menjawab tantangan zaman.
11. Sejarah pertumbuhan dan perkembangan hukum Islam.

وهناك كتب أخرى للشيخ في التفسير وعلومه والحديث وعلومه وعلم التوحيد والباحث العامة لم أسجلها هنا مخافة التطويل.

وتوفي الشيخ محمد حسبي في 9 من ديسمبر عام 1975 م 1395 م بعد أن مكث لأيام معدودة في مدينة الحجاج قبيل سفره للحج ، ودفن تلك الجثة الشريفة في مقبرة "جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية" بجاكارتا ، ولقد شيعه العديد من العلماء ورواد الحركة الإسلامية وعلى رأسهم الشيخ الكبير الدكتور عبد اللهم عبد الكريم أمير الله (Buya Hamka) صاحب تفسير الأزهر. رحمة الله تعالى رحمة واسعة وأدخله فسيح جنته آمين ثامنا : تعريف موجز بـ "النور لتفسير القرآن المجيد" ومكانته العلمية.

هو تفسير كامل للقرآن كله ويكون في خمسة مجلدات حيث بلغ عدد صفحاته إلى 4515 صفحة . و طبع الكتاب لأول مرة في عام 1956 ولكنها طبعة ناقصة حيث وصل التفسير إلى الجزء الواحد والعشرين فقط ، كما يعد التفسير أول التفاسير الإندونيسية الكاملة منذ استقلال إندونيسيا ، ثم طبع الكتاب جديداً وكمالاً في عام 1995 م بعد التصحح والتنقية، وقد قام بتنقيحه كل من أبني المؤلف هما الدكتور نور الزمان الصديقي ورَزَكِي الفؤاد الصديقي .

وترتيب الكتاب وفق ترتيب مصحف الرسم العثماني بداية من سورة الفاتحة ثم البقرة وأل عمران والنساء وهكذا إلى سورة الناس.

شرع المؤلف في تبييض الكتاب منذ عام 1952 إلى عام 1961 خلال شغله مدرساً وعميداً لكلية الشريعة بالجامعة وعضوواً مجلس النواب العالى بإندونيسيا.¹⁶ وبما أنه أول التفاسير الإندونيسية الكاملة فلا شك أن له مكانة متميزة من بين التفاسير الأخرى اللاحقة له، وإنه ليس من المبالغة لو قلنا "إن تفسير النور عمدة التفاسير الإندونيسية وأن المفسيرين الإندونيسيين عيال على محمد حسبي الصديقي". تاسعاً : منهج المؤلف في تفسيره.

سار الشيخ محمد حسبي في تفسيره على المنهج التالي :

1. إنه بدأ قبل تناوله لتفسير آيات القرآن الكريم بذكر اسم السورة أو أسمائها إن كان لها ذلك ووجه التسمية بذلك الاسم ، ثم يذكر عدد آياتها وهل هي مكية أم مدنية، وأسباب نزولها ول المناسبة بين الآيات أو السور، والمحاور أو النقاط العامة والأساسية التي تدور حولها تلك السورة.
2. إنه جزءاً السورة إلى الآيات أقلها آية أو ثلاثة، ويترجمها أولاً إلى اللغة الإندونيسية ثم يشرع في بيان المعنى الإجمالي الذي سيقت من أجله تلك الآيات ، ثم يقوم بتفسير الآيات وتحليلها تحليلاً يذكر فيه مرامي الآيات الكريمة ومعانيها وما يستفاد من دروس ، أو حكم وعبر ، أو نكات ذات جزالة، أو ترجيح بين الأقوال والأراء، وفي هذا الجانب كان المفسر يسلك مسلك تفسير المراغي¹⁷ والتفسير الواضح.¹⁸
3. إنه ختم تفسيره بذكر الخلاصة العامة أو المعاني المستنبطة من الآيات وكان هذا بعد إيراده لأسباب نزول الآيات.
4. اعتماده على عمدة التفاسير التي لا يستغني عنها جميع المفسرين وهي إما كتب التفسير بالتأثر أو التفسير بالرأي أو التفاسير التي جمعت فيها عناصر تلك التفاسير الأساسية المعتمدة مثل تفسير ابن كثير، وتفسير الطبرى ، وتفسير الرازى ، وتفسير القاسمى، وتفسير المنار، وتفسير المراغى والتفسير الواضح.
5. اعتماده في ترجمة الألفاظ القرآنية إلى اللغة الإندونيسية على منهج التفاسير الآتية : تفسير أبي السعود¹⁹ ، و تفسير صديق حسن خان²⁰ ، و تفسير القاسمى²¹ ، فالترجمة اللغوية فيها حسب معطيات وطرق هذه التفاسير المذكورة.

¹⁷ للشيخ أحمد مصطفى المراغي ، أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بجامعة دار العلوم ، القاهرة سابقًا.

¹⁸ للدكتور محمد محمود المحجاري ، أحد الأساتذة في جامعة الأزهر الشريف.

¹⁹ المسمى "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادى المتوفى سنة 951 هـ.

²⁰ هو تفسير "نيل المرام من تفسير آيات الأحكام" لصاحب الإمام أبي الطيب السيد صديق بن حسن خان القنوجي البخاري المتوفى سنة 1307 هـ، وهو تفسير موجز في مجلد واحد حيث أكمل صاحبه تبييض تفسيره سنة 1287 هـ ثم ألف بعده تفسيراً آخر سماه "فتح البيان في مقاصد القرآن" وهو تفسير جمعت فيه الرواية والدرية والأحكام والاستباط

6. قيامه باستخلاص المواد التفسيرية والحديثية من التفاسير المعتمدة وعلى رأسها تفسير المراغي والقاسمي.

7. رجوعه إلى التفاسير الأساسية الأخرى وقيامه بمقارنتها بما استخلصه من التفسيرين المذكورين (تفسير المراغي و تفسير القاسمي) اللذين هما بمنابتها المستخلص لعمدة التفاسير.

عاشرًا : مزايا تفسير النور.

قد امتاز هذا التفسير عن غيره من التفاسير الإندونيسية ببعض المزايا الآتية :

1. مواقفه السديدة من المسائل العقدية والكلامية.

أولاً : إثباته صفات الله تعالى كما وصف به نفسه.

وقف الشيخ محمد حسبي من مسألة الأسماء والصفات موقف أهل السنة والجماعة وهو إثبات صفات الله تعالى كما وصف به نفسه من غير تأويل ولا تحرير ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكليف. فما يمر الشيخ بآية تتحدث عن هذه المسألة إلا وهو يعالجها بمنهج أهل السنة والجماعة، ويزنها بميزان الاعتدال والانصاف، ويسير فيها على عقيدة السلف، وهو تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقات ، وأن استواء الله على الوجه الذي يليق بجلاله من غير سؤال عن تحديد كفيته، وهكذا يجري هذا المنهج في جميع صفاتاته تعالى .²²

وأسجل هنا بعض الأمثلة الدالة على ذلك :

أ. في الأسماء والصفات : الاستواء.

، انظر : نيل المرام من تفسير آيات الأحكام لأبي الطيب السيد صديق بن حسن خان، جامعة تعليم الإسلام، فيصل آباد باكستان ، دس و ط، ص : 2.

²¹ المسمى محسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي.

²² انظر للتفصيل : المدخل لدراسية العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، الدكتور إبراهيم بن محمد البريكان، دار السنة، المملكة العربية السعودية ودار ابن عفان، القاهرة، ط 5 ، 1418 هـ-1997 م ، ص: 105. وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور محمد خليل هراس، الناشر : محمد علاء الحسن الكتبى، المدينة المنورة ط. 3، د. ت، ص: 20-14.

قال الشيخ محمد حسبي في تفسير قوله تعالى : [الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] : " هو الله الذي استقر على عرشه ، فالله تعالى ليس جسما ولا يشبه مخلوقا ، فلنعتقد أن الله استقر على عرشه في غير تحديد في كيف استوى ؟ ... وحتماً أن استواء الله على عرشه لا يشبه استواء الملك على كرسيه ، بمعنى أن استواء الله ما يليق بجلالته.²³

إنما للفائدة أقول : إن موقف الشيخ ومنهجه في تفسيره فيما يتعلق بمسألة الأسماء والصفات يتفق مع موقف ومنهج أهل السنة والجماعة علماً بأن من القواعد والأصول لأهل السنة والجماعة في مسألة الأسماء والصفات ما يلي :

الأصل الأول : "إثبات تفرد الرب جل شأنه بكل صفة كمال وأنه ليس به شريك أو مثيل في شيء منها فلا يجوز وصفه تعالى إلا بما دل عليه كتاب الله أول سنة رسول الله أو أجمع عليه سلف هذه الأمة".²⁴

الأصل الثاني : "إثبات جميع ما ورد في الكتاب والسنة من الصفات الذاتية والفعلية بلا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل".²⁵

الأصل الثالث : اتفق السلف على أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات وما ينشأ عنها من الأفعال، مثال ذلك : القدرة يجب الإيمان بأن الله تعالى على كل شيء قادر، والإيمان بكمال قدرته والإيمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط.²⁶

²³ تفسير النور ج 3/2436.

²⁴ وشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور محمد خليل هراس، ص : 99.

²⁵ المرجع نفسه.

²⁶ المرجع نفسه.

وقد بين الإمام الحافظ أبو بكر البهقي تعريف ومفهوم الصفات الذاتية والصفات الفعلية حيث يقول : " الصفات الذاتية هي ما استحقه الله فيما لم يزل ولا يزال ، والصفات الفعلية هي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل".²⁷

مذهب السلف في مسألة الاستواء.

نظراً لخطورة الموضوع ولانتشار كثير من التأویلات المنحرفة بين المسلمين أودّ أن أشير إلى بعض أقوال فطاحل العلماء من أئمة السلف ما يكشف صورة حقيقة للمسألة على وجه صحيح :

1. الإمام أحمد بن حنبل.

يقول الإمام أحمد رحمه الله : "إن الله على عرشه وأن معنى الاستواء العلو والارتفاع" ، ويقول أيضاً : "نحن نؤمن بأن الله عز وجل على عرشه كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحدها حادّ".²⁸

2. الإمام مالك بن أنس.

ذكر الإمام البهقي بسنده عن محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري يقول : "سمعت يحيى بن يحيى يقول : "كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله [الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] كيف استوى؟ قال : فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ولإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتداعا فامر به أن يخرج".²⁹

3. الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن (أستاذ الإمام مالك بن أنس).

²⁷ كتاب الأسماء والصفات ، للإمام الحافظ أبي بكرالبهقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1405 هـ - 1985 م ، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد جيدر ، ج 1/188.

²⁸ العقيدة للإمام أحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال ، دار قتبة ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1408 هـ - 1988 م ، ص: 45 ، تحقيق الشيخ عبد العزير عز الدين السروان.

²⁹ كتاب الأسماء والصفات ، للإمام البهقي ، ج 2/150.

ذكر الإمام البيهقي أيضاً بسنده عن عبد الله بن صالح بن مسلم قال : "سئل ربيعة الراي عن قوله تعالى : [الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] كيف استوى ؟ قال : الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول ويجب علي وعليك الإيمان بذلك كله".³⁰

4. الإمام محمد بن إدريس الشافعي .

قال الإمام رحمه الله : "فإن قيل أليس قد قال الله تعالى : [الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] يقال إن هذه الآية من المتشابهات والذي نختار من الجواب عنها وعن أمثالها ملن لا يزيد التبحر في العلم أن يمر بها كما جاءت ولا يبحث عنها ولا يتكلم فيها، لأنه لا يأمن من الوقوع في ورطة التشبيه إذا لم يكن راسخاً في العلم، ومن ثم عزا الإمام الشافعي كلامه إلى قول الإمام مالك بن أنس المشهور".³¹

مذهب المعتزلة في مسألة الاستواء.

وعلى خلاف ما قاله أئمة السلف كما سبق ذكره نجد تفسيراً آخر للمعتزلة منهم القاضي عبد الجبار المعتزلي حيث يرى خلاف ما يراه مذهب أهل السنة والجماعة ، كما وجدناه أيضاً مخالفًا للأصول أو القواعد في مسألة الأسماء والصفات المتفق عليها عند أئمة السلف .

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي : "إن المراد من استوى على العرش أي استوى واقتدر عليه" ، يقول القاضي : [الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] والمراد استوى واقتدر عليه لأن العرش من أعظم ما خلق" ، ويقول أيضاً : [فَمَّا استوى على العرش] إذ لم يكُن عليه المكان وجوابنا إن المراد الاستيلاء والاقتدار".³²

ولا شك إن ما رأاه السلف هو الصحيح والصواب والله أعلم.

³⁰ المصدر نفسه.

³¹ الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكبر، للإمام الشافعي، ص : 68

³² تنزيه القرآن عن المطاعن، للقاضي أبي الحسن عبد الجبار، دار النهضة الحديثة، بيروت لبنان، د ط وس، ص

.252 و 199 :

ب. رؤية الله يوم القيمة.

كان مما يعتقده الشيخ محمد حسبي أن أهل الجنة سيرون رحمة يوم القيمة ولا يحول دونه حجاب، وهذا ما نراه في تفسيره لهذه الآية الكريمة [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً] "الزيادة التي أعطاها الله تعالى كما في بعض الروايات هي رؤية الله عز وجل وهي أعظم درجة كمال النفس"³³ ، وفي قوله تعالى [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَّبِّهَا نَاظِرَةٌ] "يرى ربه ولا يحول دونه حجاب"³⁴.

أقول : إن ما يراه الشيخ في تفسيره للآيات التي تتعلق بمسألة رؤية الله تعالى يوم القيمة كما عرضته سابقاً يتنافي ويفتقد مع ما يراه ويعتقده علماء أهل السنة والجماعة. وإنما للفائدة هنا هي بعض الأقوال لأئمة السلف وموافقتهم من المسألة أدرجها ضمن الموضوع لاستفادة من تفاسيرهم للآيات التي وردت فيها هذه المسألة.

1. الإمام العالمة القاضي البيضاوي.

يقول القاضي في تفسيره : [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَّبِّهَا نَاظِرَةٌ] "أي بحية متهللة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه".³⁵

2. الإمام ابن كثير.

يقول الإمام في تفسيره : [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ] من النضارة، أي حسنة بحية مشرقة مسروقة [إِلَى رَّبِّهَا نَاظِرَةٌ] ، أي تراه عياناً كما رواه البخاري رحمة الله تعالى في صحيحه "إنكم سترون ربكم عياناً" ، وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها".³⁶

3. الإمام الطحاوي.

³³ تفسير النور ، ج 2/1738.

³⁴ تفسير النور، ج 5/4251.

³⁵ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للقاضي البيضاوي، ج 5/267.

³⁶ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج 4/578.

يقول الإمام الطحاوي : "إن الرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كافية، كما نطق به كتاب ربنا : [وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌةٌ إِلَى رِّئَاهَا نَاضِرٌةٌ] وتفسirه على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهين بأهوائنا ، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم الله عز وجل ولرسوله ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه".³⁷ مذهب المعتزلة في رؤية الله يوم القيمة.

ذهب المعتزلة إلى مذهب آخر غير ما ذهب إليه أئمة السلف ، وهم يذهبون في هذه المسألة إلى القول باستحالة كون الله مريبا لزعمهم أنه لا يرى إلا جسم أو جوهر أو لون، وكون الله غير جسم أو جوهر أو لون فمن الحال إذن أن يكون الله مريبا.

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي فيما أثر عنه بأن معنى النظر إلى الله تعالى عنده "النظر إلى ثوابه تعالى". وهذا ما نصه في تفسيره : "[وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌةٌ إِلَى رِّئَاهَا نَاضِرٌةٌ] : "أن من تعلق بذلك إن كان من يقول بأن الله تعالى جسم فإنما لا نزارعه في أنه يرى بل في أنه يصافح ويعانق ويلمس تعالى الله عن ذلك. وإنما نكلمه في أنه ليس بجسم وإن كان من ينفي التشبيه على الله فلا بد أن يعترض بأن النظر إلى الله تعالى لا يصح لأن النظر هو تقليل العين الصحيحة نحو الشيء طليبا لرؤيته وذلك لا يصح إلا في الأجسام فيجب أن يتأنل على ما يصح النظر إليه وهو الثواب".³⁸

ولا ريب أن هذا القول مردود وأن الصواب هو ما رأه علماء السلف كما عرضته سابقا في تفاسيرهم، وهذا الرأي مردود أيضا بقول الرسول فيما روی عن البخاري : "عن جرير قال : كنا جلوس عبد النبي إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال : "إنكم سترون ربكم

³⁷ شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي بيروت، ط 9، 1408 هـ - 1988 م، ص : 188، تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء.

³⁸ تنزية القرآن عن المطاعن، للقاضي أبي الحسن عبد الجبار، ص: 442.

كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا".³⁹

والرؤبة ثابتة لأنها من صفاته الباري، وكما قلنا سابقاً إن من القواعد أو الأصول المعتمدة عند أهل السنة والجماعة في هذه المسألة –مسألة الأسماء والصفات – : أن نؤمن بها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحرير ولا تشبيه ولا تكليف. وأنه لا يجوز وصفه تعالى إلا بما دل عليه كتاب الله أول سنة رسول الله أو أجمع عليه سلف هذه الأمة.

2. استدلال الشيخ محمد حسبي واستشهاده بمصادر أهل الكتاب على صحة عقيدة التوحيد وبطلان عقيدة الشرك.

يرى كل من أمعن النظر في تفسير النور أن الشيخ محمد حسبي نجح منهجاً فريداً حيث أنه يقوم في تفسيره بالرجوع إلى التوراة والإنجيل للاستشهاد والاستدلال على صحة عقيدة التوحيد وبطلان عقيدة الشرك ضمن الآيات التي تتعلق بالأمور العقدية. وإنني أجده هذا ميزة فريدة له حيث لم أجده أحداً غيره من المفسرين الإندونيسيين ينهج هذا المنهج ، ومن أمثلته ما يلي :

عقيدة التشليث.

سرد الشيخ محمد حسبي أثناء تفسيره في قوله تعالى: [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ] بعض القصص الإسرائيلي واستشهد به ليكون تفسير الآية به أكثر وکادة ، ذلك أن عقيدة التشليث التي ادعها النصارى قد رفضها الإنجيل ، ومن ثم سرد الشيخ ما يوضح بطلان هذه العقيدة :

أ. حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنك مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تسجد وإياه وحده تعبد⁴⁰، ومن ثم يقول الشيخ : "هذا ما شهده المسيح على أن الله هو المستحق لأن يتقرب إليه العبد بالعبادة".⁴¹

³⁹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول الله تعالى "[وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تَاضِرَّةٌ إِلَى رِجْحَةٍ تَاظِرَةٌ]"، الحديث رقم: 7432، صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2، 1419 هـ - 1999 م، ص: 1279.

ب. وهذه الحياة الأبدية أنت إلهي الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته، وقال المسيح : "أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته. وبالتالي يقول الشيخ : "هذا دليل على أن عيسى المسيح عبد الله وكان مطينا وعابدا وحامدا لربه".⁴²

3. دفاعه عن مذهب السلف ودحضه لمذهب أهل الأهواء والبدع.

جعل الشيخ محمد حسبي تفسيره ميدانا للدفاع عن مذهب أهل السنة والجماعة ومناصرهم والتوهين لمذهب أهل الأهواء والبدع بما يؤكد أن الشيخ كان من ينتمون إلى عقيدة السلف، ولكن جهوده في ذلك لم تكن منسقة تحت منهج واحد بل كان متبعثرا في ثنايا عمله لتفسير الآيات القرآنية حيث لا يربطها رابط ، والأمثلة الدالة عليه :

أ. الدعوة إلى التمسك بهدى الرسول والتحلّق بأخلاقه الشريفة وإلى ترك البدع، وقد وردت هذه الدعوة في تفسيره لقوله تعالى : [لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُؤْلِمُ وَجْهَكُمْ قَتْلُ الْمَتَشْرِقِ وَالْمَعْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ] حيث يقول : "من لوازم الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام الاستهداء بهدى الرسول والتحلّق بأخلاقه الحمودة والتأدب بآدابه الشريفة، وقد زعم كثير من الناس من الذين انطبعوا عقوفهم على الجهالة بأن التبرك بقراءة الصلوات المكتوبة في كتاب دلائل الخيرات تكفيهم رغم جهلهم بأخلاق الرسول وعدم تأسيهم بسنته بل إنهم ظنوا أنهم قد أصابهم خير عظيم بمداومتهم على قراءة تلك الصلوات".⁴³

ب. حكمه بأن ما يدخل في مفهوم التصنّع في أمر الدين وتحريفه الدعاية بأن الله وسائل بحث لا يجوز العمل بالشيء إلا عن طريق هذه الوسائل . فهؤلاء المتمسكون بهذه

⁴⁰ الكتاب المقدس : إنجيل متى ، الإصلاح 4، الفقرة 10 ، دار الكتاب المقدس ، الشرق الأوسط ، دس وط ،

ص: 7

⁴¹ تفسير النور ، ج 1087/2

⁴² تفسير النور ، ج 1088-1087/2

⁴³ تفسير النور ، ج 277/1

الأفكار يولّون وجوههم إلى المقابر والمخلوقات ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويسمون ذلك توسلاً أي تقرباً إلى الله تعالى عن طريق وسائل من المخلوقات.⁴⁴ حادي عشر : المآخذ⁴⁵ على تفسير "النور".

ووجدت في هذا التفسير بعض مآخذ، وهذا شأن كل عمل بشري فإنه عرضة للخطأ والزلل، ولكن رغم ما وقع فيه من مآخذ فلا أعني بهذا أنه لا يجوز الاعتبار بهذا التفسير أو أنه تفسير غير معتمد به، إذ الكمال المطلق لله والعصمة للأنبياء عليهم السلام، وكل يؤخذ من كلامه أو يرد عليه إلا المصطفى، وقد قالوا : "لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة". وما يؤخذ على تفسير النور بعض الأمور الآتية :

1. إنكار الشيخ لبعض المسائل ظنا منه بأنها ثبتت بالأحاديث مع أنها ثبتت في الحقيقة بالتواتر.
2. اعتماده فيما يتعلق بالمسائل العقدية والغيبية على تأويلات المعتزلة وال فلاسفة ونزعتها العقلية.

وهاهي أمثلته الكاشفة عما نقوله :
1. إنكار الشيخ لبعض المسائل ظنا منه بأنها ثبتت بالأحاديث مع أنها ثبتت في الحقيقة بالتواتر.

المثال الأول : في مسألة انشقاق القمر.

ذكرت المسألة في قوله تعالى : [أَفَرَأَيْتُ السَّاعَةَ وَإِنْشَقَ الْقَمَرُ] والتي كانت إحدى معجزات الرسول. كان الشيخ يحيل مفهوم الآية إلى أنها باعتبار ما سيكون في أمر الساعة ولا يقبل التفسير القائل بأنها من معجزات الرسول ^ع إستناداً إلى أنه من خبر الأحاديث. يقول الشيخ في تفسير الآية : "إستناداً إلى النّظرـةـ العـلـمـيـةـ إنـنـاـ لـاـ نـسـطـيـعـ أـنـ نـجـزـ وـقـعـ الـأـحـدـاتـ الـخـارـقـةـ لـلـعـادـةـ مـسـتـدـلـيـنـ عـلـىـ أـحـادـيـثـ الـأـحـادـ،ـ فـبـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ لـاـ يـجـوزـ تـكـفـيرـ مـنـ أـنـكـرـ".

⁴⁴ تفسير النور ، ج 265/1

⁴⁵ المآخذ جمع المآخذ ، وهو : ما يعاب على العمل والعامل، انظر : المعجم الوسيط ، ج 8/1

تصديق حدوث انشقاق القمرلكون الأدلة فيه غير جازمة ولكن الآية المذكورة لم تنصّ
عليه.⁴⁶

المثال الثاني : في مسألة نزول عيسى عليه السلام قبل الساعة.

يقول الشيخ في تفسيره : "إن الأحاديث التي تتحدث عن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ونزوله قرب الساعة وقتله الدجال من أحاديث الآحاد، وهذه المسألة تتعلق بالمسائل العقدية ، فلا يجوز علينا أن نعتمد في مثل هذه المسألة إلا على الأدلة التي تفيد اليقين هي القرآن والسنة المتواترة، وفي هذا لم يوجد منها شيء".⁴⁷

وعلى هذا يحمل قول الشيخ على أنه لا يفيد اليقين إلا القرآن الكريم والأحاديث المتواترة دون أحاديث الآحاد، وأن المسائل العقدية لابد من إثباتها بالقرآن الكريم أو بالأحاديث المتواترة ولا يجوز إثباتها بأحاديث الآحاد لأنها تفيد الظن.

2. اعتماده فيما يتعلق بالمسائل العقدية والغيبية على تأويلات المعتزلة وال فلاسفة ونزعتها العقلية.

كان الشيخ في بعض تفاسيره لآية المتعلقة بالأمور العقدية والغيبية يرجح مذهب المعتزلة والشيخ محمد رشيد رضا على مذهب جمهور المفسرين من أهل السنة والجماعة، وفيما أرى أن الشيخ قد أصابه ما يقال بالانبهار العقلي ، وقد كان هذا فعلاً من أبرز ما يتسم به المعتزلة حيث أنهم أخضعوا نصوص الكتاب والسنة إلى معايير العقل أو ما يسمونه بالمنطق الصوري اليوناني.

وهذا الاتجاه المنحرف قد تجاوز إلى بعض أهل العلم بل المفسرين من ينسبون إلى أهل السنة والجماعة بل قدسوه.

ويتجلى هذا في الأمثلة التالية :

⁴⁶ تفسير النور، ج 3888/5

⁴⁷ المصدر نفسه ، ج 482/483

تأویلات الشیخ الغریبة لأحادیث الرسول حول أشراط الساعه، فالشیخ مثلا تأول مفهوم نزول عیسی علیه السلام بتأویلات أخرى تختلف عما اعتقاده جمهور السلف وهو نزول عیسی علیه السلام بمفهومه المعروف كما جاء في الآثار الصحیحة، فنزول عیسی علیه السلام حسب ما اعتقاده الشیخ "هو مجیء الزمان يكون المسلمين فيه یهتمون بمقاصد الشریعة ولا یهتمون بظاهرها فقط". وقال الشیخ أيضا : "إن المراد بعصر عیسی علیه السلام عصر يكون المسلمين فيه مهتمین بروح التدین، وشرائع الإسلام وإصلاح النفس".⁴⁸ كما أن الشیخ تأول مفهوم "الدجال" بتأویلات أخرى تعنی "الکذب والرکون إلى المعصیة، ورذالة الأخلاق وأنها ستندثر كلها إذا ما رعی الناس الحکم الشرعیة".⁴⁹

ثاني عشر : الرد على ما زعمه الشیخ محمد حسی. (في إنکاره لبعض المسائل ظنا منه بأنها ثبتت بالآحاد مع أنها ثبتت في الحقيقة بالتواتر).

أولا : إن الآثار حول حدوث انشقاق القمر ليست من أحادیث الآحاد كما زعمه الشیخ بل جاءت بالتواتر ومن ثم یفید العلم والیقین، وبهذا صر الإمام الحافظ ابن کثیر في تفسیره، حيث قال الإمام الحافظ : "قد کان هذا في زمن رسول الله كما ورد ذلك في الأحادیث المتواترة بالأسانید الصحیحة".⁵⁰ وبه صر أيضا الإمام القاضی عیاض : "أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرا عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه".⁵¹

⁴⁸ تفسیر التور، ج 1/583.

⁴⁹ المصدر نفسه.

⁵⁰ تفسیر ابن کثیر، ج 4/334.

⁵¹ انظر : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضی عیاض، دار الكتب العلمیة، بيروت لبنان، الطبعة

الأولی، 1420 هـ - 2000 م، ج 1/175، بتحقيق عبد السلام محمد أمین.

وعلى هذا إنه ليس هناك أى برهان يبرهن به أحد في أن هذه المعجزة لم تحدث بالليلة
ومن ثم إن قول الشيخ بأن الأدلة فيه غير جازمة لأنها من أحاديث الآحاد وأن حادثة
انشقاق القمر لم تقع لقول سخيف ومردود لا تعويب عليه.

وأما الأحاديث التي تدل على هذه الحادثة فكثيرة منها : "انشقق القمر على عهد

النبي شقتين فقال النبي أشهدوا".⁵²

ثانياً : إن الأدلة الدالة على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ثابتة في القرآن كما
أن الأدلة الدالة على نزوله قرب قيام الساعة ثابتة وصحيحة في السنة، وأثبتتها الأئمة بتواتر
خبر نزوله وبإجماع الأمة عليه، بحيث لا يشك فيه مسلم يؤمن بقدرة الله عز وجل.

وأما الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة وإثبات الأئمة على رفع عيسى عليه السلام إلى
السماء ونحوها فرب الساعة فكثيرة منها :

أ. من الكتاب الكريم.

قوله تعالى : [إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ]. والخلاف إنما ناجم عن
تفسير كلمة مُتَوَفِّيكَ فحمله بعض المفسرين أنه الموت، أو أن في الكلام تقديمًا
وتأخيرًا تقديره "إني رافعك إلى متوفيك". يقول الحافظ ابن كثير : "وقال الأكثرون
المراد بالوفاة هنا النوم كما قال تعالى : [وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّ أَكُمْ بِاللَّيْلِ]⁵³ وتبعه إمام
الشوکانی حيث قال : "وبه قال كثيرون".⁵⁴

ب. من السنة النبوية الصحيحة.

لقد أفرد الكثير من المحدثين كتبهم بباب خاص لأحاديث نزول عيسى قرب قيام
الساعة ، ومن فعل هذا الإمامان الجليلان البخاري ومسلم في صحيحهما،
وأعرض هنا بعض ما رواه البخاري :

⁵² الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم

انشقاق القمر، حديث رقم 3636، ص : 610 عن عبد الله بن مسعود ـ.

⁵³ تفسير ابن كثير، ج 487/1.

⁵⁴ تفسير فتح القدير للشوکانی، ج 1/345.

1. قال رسول الله : "والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها".⁵⁵

ج. إثبات الأئمة على تواتر خبر نزول عيسى عليه السلام وإجماع الأمة عليه:

1. قال ابن حجر العسقلاني ناقلاً فما قاله أبو الحسن الخسبي الأبدي في مناكب الشافعى : "توترت الأخبار بأن المهدى من هذه الأمة وأن عيسى يصلى خلفه".⁵⁶

2. وقال النووي : "قال القاضى نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم".⁵⁷

3. وقال القاضى ابن عطية : "وأجمعـت الأئمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حـي، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة، ملة محمد، ويحجـج البيت ويـعتمر، ويبقـى في الأرض أربعـعا وعشـرين سنة وقـيل أربعـين سنة ثم يـمـيـتـه الله تعالى، وعـيسـى عـلـيـه السـلـام حـيـ في السمـاءـ الثـانـيـةـ عـلـىـ ما تـضـمـنـهـ حـدـيـثـ الإـسـرـاءـ فيـ ذـكـرـ اـبـنـ الـخـالـةـ عـيـسـىـ وـيـحـيـ ذـكـرـهـ الـبـخـارـيـ فيـ حـدـيـثـ الـمـعـرـاجـ ...".⁵⁸

4. وقال صاحب "عون المعبود شرح سنن أبي داود" : "توترت الأخبار عن النبي في نزول عيسى بن مريم عليهما السلام من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة وهذا هو مذهب أهل السنة".⁵⁹

⁵⁵ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، حديث رقم : 3448

ص: 581

⁵⁶ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج 6/569.

⁵⁷ نقلـاـ منـ عـونـ المـعـبـودـ شـرـحـ سنـنـ أـبـيـ دـاـدـ لـلـعـلـمـةـ مـحـمـدـ شـمـسـ الـحـقـ الـعـظـيمـ الـأـبـادـيـ، جـ 11/457.

⁵⁸ تـفـسـيرـ الـمـحـرـ الـوـجـيـزـ فـيـ تـفـسـيرـ الـكـتـابـ الـعـزـيـزـ، لـبـنـ عـطـيـةـ، جـ 3/143 وـ جـ 4/287.

⁵⁹ عـونـ المـعـبـودـ شـرـحـ سنـنـ أـبـيـ دـاـدـ، المـصـدـرـ السـابـقـ.

ثالث عشر : الرد على موقف الشيخ محمد حسي من اعتماده فيما يتعلق بالمسائل العقدية والغيبية على تأويلات المعتزلة وال فلاسفة وزرعتها العقلية.

أولاً : إن الركون إلى تحميل أحاديث أشراط الساعة على التأويل بما لا يتحملها الشرع لم يكن مأثراً عن أئمة أهل السنة والجماعة ، فهو لاءً كانوا يحملونها على حسب ظاهر اللفظ ويعربون بها كما جاءت من غير بحث ولا تأويل ولا تحريف عن موضعه.

أما الفلاسفة فهو لاءً مثلاً - على حد تعبير العلامة سعد الدين التفتازاني - تأولوا طلوع الشمس من المغرب بانعكاس الأمور وجريانها على غير ما ينبغي ، والنار الخارجة من الحجاز بالفقه الحجازي ، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك ، وخروج الدجال بظهور الشر والفساد ونزول عيسى عليه السلام باندفاع ذلك وظهور الخير والصلاح وغيرها من الأمور.⁶⁰

ثانياً : إن الشيخ محمد حسي الصديقي قد تأثر بفكرة الشيخ محمد رشيد رضا ، وكما هو معلوم أن الشيخ محمد رشيد رضا كان من كبار رواد المدرسة العقلية الحديثة في التفسير بعد الشيخ محمد عبده . وله ما يزيد على ستين كتاباً في آرائه التفسيرية . وما يؤخذ عليه مثلاً شكه للأحاديث الدالة على أشراط الساعة مثل أحاديث نزول الإمام المهدي والدجال وطلوع الشمس من مغربها مع أن هذه الأحاديث قد جاءت بالتواتر كما ذكرته سابقاً.

ويتجلى هذا الموقف الغريب للشيخ محمد عبده في قوله هذا :

"أحاديث الدجال مشكلة من وجوه : أحدها : ما ذكرناه آنفاً من منافاتها لحكمة إنذار القرآن الناس بقرب قيام الساعة وإيتانها بعنة . ثانية : ما ذكر فيها من الخوارق التي تضاهي أكبر الآيات التي أيد الله بها أولي العزم من المرسلين أو تفوقها ونقد شبهة عليها كما قال بعض علماء الكلام وعدّ بعض المحدثين ذلك من بدعتهم ، ومن المعلوم أن الله ما آتاهم هذه الآيات إلا لهدية خلقه التي هي مقتضى سبق رحمته لغضبه فكيف يؤتى الدجال أكبر الخوارق لفتنة السواد الأعظم من عباده"

⁶⁰ راجع : شرح المقاصد في علم الكلام ، للعلامة سعد الدين التفتازاني ، دار المعارف النعيمية ، لاهور باكستان ،

الطبعة الأولى سنة 1401 هـ - 1981 م ، ج 2/309.

الخاتمة.

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن هناك قاسما مشتركا بين منهج المعتزلة ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير في أن كلاً منها لا يقبل أحاديث الآحاد فيما يتعلق بالأمور العقدية لذهابهم إلى القول بأنها لا تفيد شيئاً إلا الظن، فيذهب كل منها إلى تأويلها وتحميلها الشعع. كما يكتفي في صدد هذه المسألة أن أتعرض لما قد استفدتناه من كلام الشيخ الدكتور فهد الرومي بما في ذلك من الإجابات الشافية الكافية. وذهب الشيخ في كتابه "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" إلى بعض النتائج الهامة الآتية :

1. إن المدرسة العقلية الحديثة ذات منهج منحرف وهي بسلوكها غياباً تُعد فرقاً منحرفة جديدة أقرب ما تكون إلى الفرق المعتزلة فهم كالمعتزلة.
2. وهم كالمعتزلة أيضاً في كثير من الغيبيات كالملائكة والجن والسحر وغيرها.
3. وهم كالمعتزلة في إنكار كثير من الأحاديث الصحيحة حتى ما رواه البخاري ومسلم.
4. إن هذه المدرسة أعطت العقل أكثر من حقه وكلفته ما لا يطيق ورفعت من قيمته وضخمت حجمه حتى ساواه بالوحي بل قدمته عليه وقدمت ما زعمته من أحكامه على أحكام الوحي.⁶¹

المراجع والمصادر :

منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1401 هـ - 1981 م، الطبعة الأولى.

شرح المقاصد في علم الكلام، للعلامة سعد الدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية، لاهور باكستان، الطبعة الأولى سنة 1401 هـ - 1981 م،

⁶¹ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1401 هـ - 1981 م، الطبعة الأولى، ج .810/2

تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ج 3/143 و عون المعبد شرح سنن أبي داود للعلامة محمد شمس الحق العظيم الآبادي، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ج 1/175، بتحقيق عبد السلام محمد أمين.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني،
تفسير ابن كثير،

تفسير فتح القدير للشوكتاني، الكتاب المقدس : إنجليل متى ، الإصلاح 4، الفقرة 10، دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط، دس وط، ص: 7.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للقاضي البيضاوي، ج 5/267 .
المدخل لدراسية العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، الدكتور إبراهيم بن محمد البريكان، دار السنة، المملكة العربية السعودية ودار ابن عفان، القاهرة، ط 5، 1418 هـ-1997 م.

شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، للدكتور محمد خليل هراس، الناشر : محمد علد الحسن الكتبى، المدينة المنورة ط. 3، د. ت.

تنزية القرآن عن المطاعن، للقاضي أبي الحسن عبد الجبار، ص: 442 .
صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط 2، 1419 هـ - 1999 م، ص: 1279 .

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، للدكتور أحمد الشلبي، ج 8/522 نقلًا من البروفسور رومين : آسيا المعاصرة ص : 118 من الترجمة العربية.

كتاب الأسماء والصفات ، للإمام الحافظ أبي بكر البهقي ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1405 هـ - 1985 م، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد جيدر، ج 188/1

الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكابر، للإمام الشافعي، ص : 68 .
شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي بيروت، ط 9 ،
1408 هـ - 1988 م،

العقيدة للإمام أحمد بن حنبل برواية أبي بكر الخلال، دار قتبة، دمشق، الطبعة الأولى ،
1408 هـ - 1988 م، ص: 45، تحقيق الشيخ عبد العزير عز الدين السروان.

Lothrop Stoddard, Dunia Baru Islam (The New World Of Islam), tanpa
Tahun

Deliar Noer, and: The Modernist Muslim Movement In Indonesia, 1900-
1945, Oxford Universitu Press Kuala Lumpur, 1978, page. 86.

Sejarah Daerah Provinsi Daerah Istimewa Aceh, Proyek Penelitian Dan
Pencatatan Kebudayaan Daerah Departemen Pendidikan Dan
Kebudayaan, (PN. Balai Oustaka, Jakarta, 2004)